موقف الوحي من التعامل مع التراث الديني اليهودي

د. زياد خليل محمد الدغامين

تمهيد

نجم عن فعل اليهود - المتمثل في العبث بالكتب السماوية السابقة: كالتوراة والإنجيل، وأسلوبهم في التعامل معها - تصوّر منحرف، حول كثير من القضايا التي تهمّ الإنسان والإنسانية، سواء تلك التي تتعلق بمسائل الاعتقاد الكبرى، أم تلك التي تتعلق بأحكام التشريع، أم تلك التي تتعلق بجوانب الحياة المختلفة.

بل إن ذلك التحريف أدّى إلى صراع بين العقل والدين، وبين العلم والدين إبّان حكم الكنيسة - بعهديها القديم والجديد - وهيمنتها على عقول الناس، وتنفذها في سير تفكير هذه العقول. مما تسبب في قيام ثورة عارمة على كل ما يمت إلى الدين بصلة، وفقدت شعوب أوروبا ثقتها بالدّين، وكبّلته

(*) سأعبّر مرّة بـ «تراث ديني»، ومرّة بـ «تراث تفسيري»، لأنه لما فقدت اليهودية أصولها السماوية كان ما تبقى لديهم تراثا تفسيراً، بمعنى: مجهودات فكرية، ومقولات ظنية، هي حصيلة فهمهم لما تبقى عندهم.

(**) كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت - الأردن.

بأغلال يصعب عليه معها أن يعود إلى معترك الحياة، وخطّت لنفسها طريقاً معاكساً أو مناوئاً له.

كل ذلك بسبب الجرأة على الكتاب السماوي وتحريفه بما يوافق الأهواء والحظوظ والشهوات.

إن هذه الفئة التي أخذت على عاتقها مهمّة تحريف الكتاب السماوي جنت على شعوب بأسرها، بل تسبّبت في انحراف مسيرة الإنسان العلمية والمعرفية والحياتية، فنشأت في الغرب علوم إنسانية واجتماعية وطبيعية لا تمتّ إلى الدين بنسب أو صلة. بل تعادي الدين وتكذّبه، وتطور نفسها بعيداً عنه.

لقد خرجت ديانة نبي الله موسى – عليه السلام – التي أرسل بها إلى بني إسرائيل عن كونها ديانة سماوية، بسبب إقدام أتباعها على العبث بأصولها. وتشويه حقائقها، وتبديل أحكامها، إرضاء للأهواء، واستهزاء بالتعاليم الإلهية. ولم تعد تلك الديانة تمثل دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ومع ذلك حاولت من خلال ذلك الركام المشوّه من تعاليم الوحي أن تتسوَّد على الناس، وبلغ من تأثيرها – على سبيل المثال – في عرب الجاهلية قبل الإسلام أن المرأة إذا كانت مقلاتا – لا يعيش لها ولد – تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده... الحديث[١]، ظنّاً منهم أن نسبة هذه الديانة إلى الوحي حقيقية، وأن مرجعيتها موثوقة، وأن الانتساب إليها فيه مفخرة وشرف عظيم في الدنيا، ونجاة في الآخرة.

وفي ظل غياب الوحي الصادق تعالت هذه الديانة بكبريائها، وسعت إلى فرض السيادة والهيمنة على المجتمعات الجاهلية. لكن ذلك لم يدم طويلا. وإذ ببعثة النبيّ محمد ﷺ تكشف حقيقة هذه الديانة، وتبيّن أن نسبتها إلى الوحي غير صحيحة، وتميّز الحقّ من الباطل، والوحي الصادق من الوحي

---

(١) حديث صحيح، انظر: محمد ناصر الدين الألباني؛ صحيح سنن أبي داود (١٩٨٩)، مكتب التربية العربي، الرياض. كتاب الجهاد، ج ٢، ص ٥١٠، ح ٢٣٣٣.

المدّعى. وبتلك البعثة يتقرر أن اليهودية لا تمثل المرجعية الحقّ للناس. بل لا يجوز التعبّد بها لله تعالى، وفي هذا المعنى يقول ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه... الحديث(٢).

وبه يتبيّن أن الديانات السماوية السابقة اختلطت بالديانات الوثنية حتى استوت كلها في صف واحد وحكم واحد. وفارقت دين الفطرة المتمثل في الإسلام. ويتجلى بهذا البيان مبدأ التعامل مع التراث التفسيري اليهودي. فالتعامل مع الكتب السابقة يكون على أساس أنها تمثل الوحي الصادق، ولا دين الفطرة، أعني: أنها ليست دين الله - تعالى -، وليست دين العقل والفطرة.

ونظراً لما كان لهذه الديانة وتفسيراتها من تأثير، ليس على عقلية العرب في الجاهلية الأولى فحسب، أو على العقلية الإسلامية في عصور التخلّف بما في ذلك هذا العصر(*)، بل على العقل البشر بعامّة - كان لزاما أن تتوجّه الدراسات والبحوث إلى بيان الموقف الحقّ من التراث التفسيري اليهودي من خلال الوحي: القرآن والسنّة، وبيان الأرضية الصلبة التي يجب أن يقف عليها المفسر في التعامل مع هذا التراث.

هذا ما تحاول هذه الدراسة أن تتوجّه إليه، فتبيّن أسلوب اليهود ومنهجهم في التعامل مع الكتاب السماوي الذي جاءهم به موسى عليه السلام. وتكشف عن آثار هذا المنهج وانعكاساته في واقع الدراسات

---

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، انظر: متن فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب (بلا تاريخ) نشر دار الإفتاء السعودية، الرياض، كتاب الجنائز، ج ٣، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ح ١٣٨٥.

(*) بيّن الدكتور محمد حسين الذهبي خطورة هذا التراث على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام. وذكر أنه يفسد على المسلمين عقائدهم بما انطوى عليه من تشبيه وتجسيم لله سبحانه، وأنه يصوّر الإسلام في صورة دين خرافي، وأنه كاد يذهب بالثقة في بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين. انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ١٩٨٥)، دار الإيمان، دمشق. ص ٣٩ - ٤٤.

الاستشراقية اليوم. هذا هو المرتكز الأول الذي بنى الوحي الإسلامي على أساسه موقفه من تراثهم.

ولما أدرك اليهود حجم الخطر الذي يحدق بتراثهم. وحجم الخسارة التي ستلحق بمكانتهم من جرّاء اتّجارهم بالكتاب السماوي - حاولوا أن يعرّضوا النبوّة الخاتمة إلى امتحانات قاسية وتحدّيات صعبة في نظرهم. ولكن هذه النبوّة تجاوزتها بتأييد الوحي وبرهانه. وهذا هو المرتكز الثاني.

ثم تتوجّه الدراسة - بعد ذلك - إلى تجلية الموقف النبوي في التعامل مع هذا التراث، ليتبلور الموقف الكليّ العام إزاءه.

وستكشف الدراسة عن بعض التطبيقات النبوية للموقف الذي بناه الوحي في التعامل مع هذا التراث.

إن الثمار التي تهدف هذه الدراسة إلى قطفها تتمثل في تقرير الأساس المنهجي الذي يجب أن يكون حاضراً في ذهن كل مفسر وهو يبحث أو يتعامل مع أية معلومة يهودية تفسيرية. إن إحكام فهم الهدي النبويّ في التعامل مع هذه التفسيرات، ينير السبيل أمام مفسر القرآن أو الفكر الإسلامي في تعامله مع ما يستجدّ من معلومات أو تفسيرات تعتمد على أصول دينية يهودية أو متأثرة بها من غيرها.

وتتمثل في تنقية العقل المسلم من كل الشوائب العالقة به مما هو نتاج التراث التفسيري اليهودي، وتصحيح الموقف إزاء هذا التراث من جرّاء استسلامه لبعض النصوص في السنّة النبيوية التي تشير في ظاهرها إلى جواز التحديث عن أهل الكتاب.

والمطلوب بعد ذلك اتخاذ هذا الموقف قاعدة مهمّة في مؤتمرات ما أطلق عليه «حوار الأديان». إن إشاعة مثل هذا الموقف في دوائر المعرفة ومؤسساتها فيه إنقاذ لكثير ممن خضع لمثل هذا التأثير من أفراد البشر ومجتمعاتهم في قضايا وميادين شتى.

هذا ما تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه، وليس من أهدافها الحديث عن

اليهود وأخلاقهم وأوصافهم. وليس من أهدافها بيان موقفهم من القرآن الكريم، أو الاستقصاء في بيان أسلوبهم في تلقّي كتب الله المنزلّة والتزامهم بأحكامها، أو سلوكهم مع أنبياء الله المرسلين. فتلك قضية أجلى من الشمس ليس دونها سحاب. وليس من أهداف هذه الدراسة – كذلك – التطرّق إلى الحديث عن الإسرائيليات وشيوعها في كثير من كتب التفسير، فتلك قضية كتب فيها العديد من الباحثين.

وستقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: أسلوب اليهود في التعامل مع الكتاب السماوي.

المبحث الثاني: التحدّي اليهودي للبعثة النبوية.

المبحث الثالث: الموقف النبوي من التراث الديني اليهودي.

المبحث الرابع: تطبيقات عملية للهدي النبوي في التعامل مع المعلومات الكتابية.

الخاتمة، ونستعرض فيها أهم النتائج.

المبحث الأول
أسلوب اليهود في التعامل مع الكتاب السماوي

«تذهب العقيدة اليهودية إلى أن التوراة هي الشريعة المكتوبة، ولكنها ليست الشريعة الوحيدة، إذ يؤمن اليهود بأن هناك ما يسمى بـ الشريعة الشفوية، وأن الإله أعطى كلا من الشريعتين: المكتوبة والشفهية لموسى – عليه السلام – في جبل سيناء، وقد توارث كل اليهود الشريعة الأولى. أما الثانية فقد توارثها الحاخامات فقط. والتفسيرات الحاخامية التي دونت في التلمود تجسد هذه الشريعة الشفوية. وتذهب العقيدة اليهودية إلى أن الشريعتين متساويتان في الأهمية، بل إنها تذهب إلى أن الشريعة الشفوية أكثر أهمية من الشريعة المكتوبة، بل تجبّها. وهذا كله يعني أن الثابت هو المتغير، وأن اللامعيارية هي المعيارية، كما تعني أن الدالّ الإلهي الوارد في العهد القديم لا يتحدّد مدلولة إلا من خلال تفسيرات الحاخامات، وهي تفسيرات متغيّرة»(٣).

وهذه الخلفية التي تقوم عليها العقيدة اليهودية تفسّر العديد من القضايا المتصلة بفهمهم للتوراة، إن فهم التوراة يعادل التوراة نفسها من حيث سلطتها وأثرها وتفسيرها للوجود والحياة الإنسانية، وقد سجّل القرآن الكريم حقائق عديدة متعلقة بالنهج الذي سلكه اليهود في التعامل مع التوراة، وتبيّن نصوص القرآن أن موقف أكثرهم تمثل في رفض ما جاء به موسى عليه السلام، والتنصل مما تضمنته التوراة من هداية وتشريع وأحكام، وتكاد الصلة تختفي بين هذه الأحكام والتشريعات وبين المشرّع نفسه، وهو الله تعالى.

هذا فضلا عن «إن التراث اليهودي لم يحسم قط مسألة: هل التوراة

---

(٣) عبدالوهاب المسيري، اليهودية وما بعد الحداثة: رؤية معرفية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد العاشر، ١٩٩٧. ص: ٩٥ – ٩٦.

بأسرها هي كلمات الإله الموحى بها، أم أجزاء منها فحسب؟ وهل أعطيت هذه الكلمات لموسى - عليه السلام - مباشرة، ثم كتبها هو؟ أم أن الإله خطّها بنفسه؟ أم أنه أعطاها لموسى - عليه السلام - في حضور الشعب؟ لهذا، كان الحضور الإلهي في النص اليهودي المقدّس ليس حضورا مطلقا ثابتا كاملا، وإنما هو مجرد أثر أو صدى»[٤]. وعليه، فليس للنص اليهودي تلك الهيمنة على أفئدة الناس وقلوبهم، وليس له قدرة أو أثر في إحداث عملية تغييرية في آفاق النفس الإنسانية وما يتصل بها من نواح اجتماعية، ليس له ذلك؛ لأن النص نفسه موضع شك وشبهة وريبة.

لقد كشفت نصوص القرآن الكريم عن تفصيل دقيق، ووصف عميق لسلوك اليهود وموقفهم النظري والعملي من الكتب المنزّلة، وهو وصف وتفصيل وارد في سياق تحذيري تُواجه به هذه الأمّة التي تلقت عن الله - تعالى - السبع المثاني والقرآن العظيم. ويمكن إجمال هذه الأوصاف والتفصيلات على النحو الآتي:

١ - العبث بالكتاب السماوي بالتحريف والتبديل

تحريف الشيء كما يقول الراغب الأصفهاني: إمالته، كتحريف القلم. وتحريف الكلام: أن تجعله على حرف من الاحتمال، يمكن حمله على وجهين[٥]. وقد وصف الله تعالى اليهود بهذا الفعل في عدّة نصوص، هي:

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ (البقرة: ٧٥).

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء ٤٦).

---

(٤) المرجع السابق نفسه، ص: ١٠١.

(٥) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني؛ مفردات القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت. ص: ١١٤.

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ (المائدة: ١٣).

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ (المائدة: ٤١).

وبيان القرآن أنهم يحرّفون كلام الله وراد في سياق الإخبار عنهم، ويظهر أن هذه الآيات كلها جاءت متوجهة إلى هذه الأمّة الوارثة هدي النبوّات.

و«التحريف» صنيع من شأنه أن يجعل نصوص الوحي عائمة فضفاضة من حيث دلالاتها ومعانيها، أو أنها تفهم على أيّ صورة كيفما اتفق (Haphazard)، فهي بذلك تفقد كل معنى أو دلالة مباشرة متوجّهة إلى أيّ قضية جوهرية أو ثانوية، وقد يصل الاختلاف بين دلالتين إلى حدّ التناقض. ويؤدّي هذا الصنيع في التعامل مع نصوص الوحي إلى جعل أداء المكلف واستجابته للأمر والنهي، والفعل والترك مزاجياً؛ لأنه ليس هناك دلالة حاسمة على المعنى، إذ لا بدّ من أن تكون الدلالة واضحة في الأمر والنهي، والفعل والترك. وعند التحريف تفقد الدلالة مرجعيتها وهيمنتها في ضبط سلوك الفرد، ومن ثمّ تبقى الدلالة متذبذبة غير جازمة ولا لازمة، ويفقد النصّ واقعيته ويبقى مثاليا وتنتهي تلك النصوص وتفقد فاعليتها وأثرها، بل تموت حين تقبل على تعاطيها والتعامل معها نفسيات تسعى – أصلا – إلى الحدّ من سلطان الوحي وتحجيم أثره في واقع الحياة. أقول: كيف إذا كانت هذه النفسيات متوجهة – أصلا – وعازمة على أن تتجاوز أو تتنصل من تبعات تلك النصوص التكليفية!

هذا البيان القرآني يتمخض عن سؤال مهمّ يطرح نفسه أمام العقل والوجدان، وهو: ما الذي يدعو ابتداء إلى مثل هذا التصرف مع نصوص الوحي؟ والجواب متلفع في ثوب المزاجية الحاجب لحقائق تلك النصوص ونورها، هذه المزاجية المفروضة تدفع – حتما – إلى اختيار ما يتوافق مع

الهوى والرغبة من تلك النصوص والتصديق بها. وتدفع كذلك إلى إنكار ما لا يتوافق منها مع الهوى والرغبة، إن على مستوى الأفراد أو على مستوى الفئات على تنوع مزاجها. وإذا ما طرح هذا على مستوى فئة «الحاخامات» – مثلا – فإنّ هذه النصوص لن تعرف سبيلا إلى الاستقرار في واقع الحياة. وقد وُصف شيء من فعلهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ (البقرة: ٨٤ – ٨٥) إنهم لا يؤمنون بتلك النصوص لتعارضها مع الهوى الكامن في سفك الدماء، والتسلط والاستبداد، والظلم والعدوان...

وقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ما يؤيّد هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ (الحجر: ٩٠ – ٩١)، قال: هم أهل الكتاب، جزأوهُ أجزاء، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه[٦]. وهذا يعني أنهم يحرّفون الجزء الذي يخالف منفعتهم، ويعارض مصلحتهم وهواهم ورغبتهم. وهو وضع يقضي أنهم جعلوا العقل نداً للوحي ومساويا له، في حين أن العقل تابع؛ يسير في طريق هداية الوحي على نور وبصيرة.

وقد لا يقتصر الأمر على حدّ تحريف ما يتعارض مع أهوائهم، بل قد يتحوّل إلى عداء سافر للحق بكل ما تحمل كلمة عداء من كراهية وخذلان؛ لأن تأييده ونصرته يفوّت عليهم منافع كثيرة، بل يضيّع مكانتهم التي

(٦) البخاري، متن فتح الباري، كتاب التفسير، ج ٨، ص: ٣٨٢. ح ٤٧٠٥.

تسوّدوا من خلالها على المجتمعات البشرية قديماً وحديثاً. وعلى سبيل المثال، يترتب على استجابتهم لما جاء به الإسلام - الذي يتساوى في ظله أفراد النوع البشري - فقدانهم تلك المكانة التي بنوها على أساس مقولة «شعب الله المختار». وعليه فإنّ الحفاظ على هذه المكانة لا سبيل إليه إلا استرضاء الناس بكل وسيلة وأسلوب، ولو بالكذب والتزوير والتلفيق والتحريف.

يفرّق الخطيب الإسكافي بين قوله: «عن مواضعه»، وقوله: «من بعد مواضعه» بما مفاده: أن الأولى تحريف من جهة التأويل، إضافة إلى تحريفهم من جهة التنزيل. و«عن» تكون لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقا زمنه لزمنه، بينما «بعد» تكون لما تأخر زمانه عن زمانه بأزمنة كثيرة أو بزمن واحد. وعلى هذا فإن «من بعد مواضعه» بمعنى ناوين تحريفه من بعد وقوعه مواقعه. وحصوله مواضعه، فمحرّفين بمعنى ناوين التحريف، يحتمل من بعد موت النبي ﷺ؛ ليجعلوه على خلاف ما سمعوه منه(7). أي أن التحريف صفة ملازمة لهم، راسخة في نفوسهم.

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن قوله: «عن مواضعه» حديث عن حال الأولين من اليهود، فقد تناولوه بأنفسهم، وباشروا التحريف والتبديل، فهم المزيلون لما خوطبوا به عمّا أزيد به. لم يتقدمهم في ذلك غيرهم. وأما المعاصرون للنبي ﷺ فقد حرّفوا - أيضاً - بعد الاستقرار، يشهد لذلك إنكارهم صفته بعد مشاهدته ورؤيته ﷺ، وهذا مما اختصّ به الخلف دون السلف إذ لم يباشر أمره ﷺ هؤلاء بعد أن كان سلفهم يعترفون بذلك، فقد حرّف هؤلاء بعد الاعتراف والثبوت أمرا زائداً إلى ما ارتكبه سلفهم(8). لكن، لا يبدو أن حديث القرآن يهدف إلى بيان حال الأولين والآخرين منهم،

---

(7) أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي: درّة التنزيل وغرّة التأول (1979). دار الآفاق الجديدة، بيروت. انظر: ص: 91 - 92.

(8) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح (1983)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت. انظر: ج 1، ص: 377 - 379.

فتصرّف الأبناء ما هو إلاّ صورة مطابقة لفعل الآباء. وعليه، فالقرآن يتحدّث عن طبع متجدّد في منهج وأسلوب تعاملهم مع اكتب المنزّلة.

ولم يظهر في كلام الإسكافي ولا ابن الزبير بيان للفرق – في حديث القرآن عن اليهود – بين قوله – تعالى ﴿**يحرفون كلام الله**﴾ و﴿**يحرفون الكلم**﴾، مع الاتفاق على أن تحريفهم واقع في كلام الله، وفي الكلم أيضا، ويتضح الفرق – هنا – إذا تحدّد المقصود بـ «الكلم» الذي هو جمع كلمة، والكلمة تحتمل معاني عديدة – كما ذكر الراغب في مفرداته – فقد يراد بها القضية، كما في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (الإنعام: ١١٥). وقد يراد بها أحكامه التي حكم بها، وبيّن أنه شرع لعباده ما فيه بلاغ. وقد يراد بها الآية المعجزة[٩].

والذي يتسق وينسجم مع معنى قوله – تعالى: ﴿**يحرفون الكلم**﴾ هو أن نفهم أن هذا التحريف واقع على الأحكام التي شرع الله لعباده. والسياق في الآيات الثلاث يؤيد هذا المعنى ويعزّزه، فالآية في سورة البقرة سبقها ذكر قصة موسى مع بني إسرائيل بشأن تكليفهم بذبح بقرة، ومجادلتهم في ذلك، مع أنه تكليف واضح، لا لبس فيه، ثم يقطع القرآن طمع المؤمنين في إيمان هؤلاء، ويبيّن أنه ميؤوس من إيمانهم بسبب اعتدائهم وعدوانهم على كلام الله الذي سمعوه، كما يشهد به قوله – تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾ (الأعراف: ١٥٥)، وبعد أن سمعوا ما سمعوا قال الله عنهم: «يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»، والتحريف هنا للكلام المسموع بعد فهمه وإدراكه واستيعابه ومعرفة ما فيه، والأدهى من ذلك أن عملية التحريف كانت تتم عن وعي وعلم، لا عن جهالة وسوء فهم. ومن هنا تبرز خطورتها؛ إنها جاءت عن سبق إصرار وإدراك وعلم «أي: من بعد ما عقلوه وهم يعلمون». قال البقاعي: «إن من اجترأ على

(٩) الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص: ٤٤٠.

الله لم ينبغ لعباد الله أن يطمعوا في صلاحه: لإنه إذا اجترأ على العالم بالخفيات، كان على غيره أجرأ، مشيرا إلى أنه لا يفعله عاقل»[١٠].

وآية سورة النساء تقدّمها النهي عن أداء الصلاة في حالة السكر أو الجنابة، وما يلزم عند فقد الماء في حال عدم الطهارة، ثم حديث عن أهل الكتاب الذين يشترون الضلالة ويبغونها للمسلمين، إلى أن قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ (النساء: ٤٥ - ٤٦).

وآية سورة المائدة سبقها حديث عن ميثاق الله مع بني اسرائيل المتضمن: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل، وتعظيمهم وتأييدهم، وبذل الصدقات والخير للناس، وهذه معالم بارزة في دعوات الأنبياء، لكنهم نقضوا الميثاق، ونقض الميثاق هو المقصود بتحريف الكلم عن مواضعه، ويبيّن القرآن الكريم - هنا - أن صفة الخيانة بنقض العهود والمواثيق خصلة متأصلة في نفوسهم، وبسبب ذلك استحقّوا اللعن، واستوجبوا العقاب، يؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ﴾ الآية(المائدة: ١٣).

قال البقاعي: «لقد بيّن قساوة قلوبهم بما دلّ على نقضهم بقوله: «يحرّفون الكلم»، أي: يجدّدون كل وقت تحريفه عن مواضعه، فإنهم كلما وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرّفوه إلى شهواتهم، وأوّلوه التأويل الباطل بأهوائهم، فهم يحرّفون الكلم ومعانيها»[١١].

ثم تلا ذلك- في السورة نفسها - حديث عن القتل وتحريمه، وبيان حدّ

---

(١٠) برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩٩٥).، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص: ١٧٥.

(١١) المرجع السابق نفسه، ج ٦، ص: ٤١٦.

الحرابة، وبيان حدّ السرقة، والحثّ على التوبة والترغيب فيها، وهذه أحكام استقرت في دعوات الأنبياء. وفي دعوة موسى - عليه السلام - ثم خوطب الرسول ﷺ بأن لا يحزن من أجل أولئك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين، وأولئك اليهود الذي يحرّفون الكلم من بعد مواضعه. فجعل عملهم بالتحريف مساويا لعمل الذين يسارعون في الكفر ممن أمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه.

فالتحريف على هذا حاصل في كلام الله عموما، وفي أحكامه وتشريعاته على وجه الخصوص، تحريف للكلام المسموع، وتحريف للكلام المكتوب، بقصد وسوء نيّة، وفساد طويّة. وعليه، فيتّخذ التحريف مظهرين:

الأول: قلب أصل الكلام، والإخبار به على غير وجه.

والتحريف الثاني: تبديل ما فيه من هداية وتشريع وأحكام، من بعد ما استقرت في الكتاب.

ولقد استوفى اليهود التحريف الثاني، فعبثوا بالديانة كلها، حتى لم يعد لأيّ نصّ هيبته أو احترامه بوصفه نصاً سماويا. إن التحريف صفة راسخة فيهم لا تتبدّل في تعاملهم مع الآخرين(*).

وقد ذكر القرآن نماذج من تحريفهم الكلم في سياق تعاملهم مع النبي ﷺ، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ﴾ (المائدة: ٤١).

«يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا»، أي: يتأوّلونه على غير تأويله، بعد أن فهموه، وعرفوا مواضعة التي أرادها الله عزّ وجل،

(*) ولذلك كان أيّ اتفاق معهم في الماضي والحاضر والمستقبل عرضة للتحريف من بعد مواضعه فاتّفاقيات السلام على سبيل المثال تبيّن أنه على الرغم من كل التنازلات التي أبدتها الأطراف العربية ووقّع عليها الطرف الإسرائيل نجدها عرضة للتبديل والتغيير إذا لم تحقّق الهيمنة الكاملة لهم - بوصفهم شعب الله المختار - على شعوب المنطقة.

وبيّن أحكامه، فقالوا – مثلا – : شرع الله ترك الرجم، وجعلو بدل رجم المحصن جلد أربعين، تغييرا لحكم الله – عزّ وجلّ –[١٢]. أو جعلوا بدل الرجم تسخيم وجوه الزناة وفضحهم، ويشهد له من الصحيح ما روي عن عبدالله بن عمر، قال: أتي النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود زنيا، فقال: لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما، قال: فائتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فجاءوا بها، فقالوا لرجل ممن يرضون أعور: اقرأ. حتّى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه، قال: ارفع يدك، فرفع، فإذا آية الرجم تلوح. فقال: يا محمد، إن فيها الرّجم، ولكنّا نتكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما. الحديث»[١٣].

هذا التحريف لم يتوقف عند حدود طمس حقائق التوراة والإنجيل، بل توجّه إلى القرآن الكريم ليواجه – في تقديرهم – ما واجه الكتابان قبله، واستطاع المحرّفون المعاصرون بانخراطهم في حركة الاستشراق الأوروبية وتوجيههم لها من تحقيق بعض أهدافهم من الكيد للإسلام، وذلك بتشويه حقائقه، وتزوير مظاهر حضارته التي ظلت بصماتها واضحة في تاريخ البشرية، بل تم جحد ما للمسلمين من فضل وأثر وإسهام في الحضارة الإنسانية[١٤] وهذا تحريف لحقائق التاريخ أدّى إلى تكوين صورة مشوهة عن الإسلام، رسخت في أذهان الشعوب الغربية، حتى باتت تظن أن الإسلام خطر عليها، بل إن تكوين صورة إرهابية للإسلام في نظر الغرب كان بسببهم.

إن معاهد الاستشراق التي أنشأها الغرب في جامعاته قد أخذت على عاتقها مهمة «تحريف الكلم من بعد مواضعه في حقّ القرآن الكريم

---

(١٢) أبو عبدالله محمد بن عبدالله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٩٦٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج ٦، ص: ١٨١ – ١٨٢.

(١٣) البخاري، كتاب التوحيد، ج ١٣، ص: ٥١٦ ح ٧٥٤٣.

(١٤) رجاء جارودي؛ الإسلام دين المستقبل، ترجمة عبدالمجيد بارودي (١٩٨٣) دار الإيمان، بيروت. انظر: مبحث : أوروبا والتراث العربي الإسلامي، ص: ١٠٥ – ١٠٨.

وحضارته». لكن اليهود لم يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود؛ حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا – أولا – فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها. وكسبوا – ثانيا – تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى»(١٥).

وقد أخذت الدعاية اليهودية – في العصر الحاضر – شكلا آخر من «تحريف الكلم عن مواضعه»، وذلك حين تتم عن طريق الروايات والسيناريوهات والقصص والأفلام وبرامج التلفزة، حتى الروايات الغرامية والإباحية استخدمت الإسلام والمسلمين موضوعا لها، تسيىء إليهما على صورة مؤذية، تظهر مدى تعطش الصحافة الغربية لدماء المسلمين وكرامتهم، بحجة أن الإسلام عدوّ قديم، وخطره ماثل في شعورهم، فهم يواجهون إلها شديد القسوة، ونبياً منغمساً في الملذات، ومتعصبين ملتحين، وشيوخ نفط، وآيات الله، وإرهابيين(١٦).

وهذا تلفيق حديث، أتقنه خبراء التحريف والتزوير من الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه. «وقد لا تجد دافعا أحيانا من وراء ذلك إلا تحقيق الربح الفاحش، لأنه تزوير رخيص يستهوي جمهور العامّة ورعاعهم، وقد يتسامى الهدف من تلك الروايات ليكشف عن وجهه السافر، يقول «جون جولد سميث»: «للروايات غرض مفيد، إنها تخلق مناعة لدى الجمهور ضد

---

(١٥) محمود زقزوق؛ في مواجهة الإستشراق، مجلة المسلم المعاصر، مصر، العدد ٦٥ – ٦٦، السنة ٩٢ – ١٩٩٣، ص: ٢٧. ولم يكن الاستشراق يهدف – كما يقول رجاء جارودي – إلى البحث العلمي دون غاية أخرى، بل كان يهدف إلى تذليل العقبات في وجه مشروع تبشيري. انظر: الإسلام دين المستقبل. ص: ١٧٤.

(١٦) أنس الشيخ علي؛ الإسلام والغرب: إشكالية التحيّز في الروايات الشعبية البريطانية والأمريكية ١٩٠٧ – ١٩٩٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد العاشر، ١٩٩٧، انظر: ص: ١٢٣ – ١٥٢.

الحقيقة»[١٧]. وهذا لأن الجمهور لا يجد متسعا من الوقت للبحث عن الحقيقة واعتناقيها أو تقبلها بقبول حسن، أو حتى التعامل معها برحابة صدر. أعني: الحقيقة المتصلة بالإسلام.

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتعرض له معظم المستشرقين بالدراسة غير الموضوعية، في حين أنهم موضوعيون في دراستهم للبوذية والهندوكية وغيرها[١٨].

ومن ذلك – مثلا – : أنهم يعتبرون الإسلام ظاهرة بشرية، تخضع لما تخضع له الظواهر الإنسانية من نواميس وقواعد. وهم بحكم هذه النظرة – وانطلاقا منها وتأسيساً عليها – قد بحثوا عن مصادر الرسالة الإسلامية، وتتبعوا نمو العقيدة وتدرجها، وحاولوا أن يعللوا تنوع المذاهب ونشوء الفرق بتغير الظروف والبيئات الجنسية والاجتماعية والسياسي التي انتشر فيها الإسلام»[١٩].

وجعل الإسلام ظاهرة بشرية يتعرض لتغييرات الزمان والمكان تحريف للحقيقة، وتبديل للكلم من بعد مواضعة؛ فإنّ الإسلام ظل كما أنزل، لم يتطور، ولم يتبدل على الرغم من كل التطورات التاريخية في الميدان السياسي والاجتماعي.

وهناك مثال آخر من تحريفهم الكلم عن مواضعه، يتمثل في نظرتهم للنبيّ محمد ﷺ. فقد حاول بعضهم أن يأخذ بعض الأحداث في حياته من أجل أن يشكك في أهليته للنبوّة، وشدّد على وثنيته قبل أدّعائه النبوّة، مستندين – فيما يبدو – على رواية تقول: إنه في شبابه قد ضحى بنعجة بيضاء للعزّى[٢٠].

---

(١٧) المرجع السابق نفسه، ص: ١٥٢.

(١٨) المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤.

(١٩) محمد توفيق حسين: الإسلام في الدراسات الغربية، مجلة المختار من عالم الفكر (١٩٨٤)، وزارة الإعلام، الكويت. ص: ٤٠.

(٢٠) محمد عصفور؛ صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي حتى القرن الثامن عشر، مجلة المختار من عالم الفكر (١٩٨٤) وزارة الإعلام، الكويت، ص: ٥٣. وانظر: ص ٦٦.

«إن كتابات بعضهم مثل «برنارد لويس»- الذي يتمتع بمكانة علمية ممتازة في عالم الإستشراق - تتضمن كثيرا من الهجوم والتهكم والسخرية من العرب والإسلام. وإن كان يغلف ذلك كله في أسلوبه البارع بحيث يكسب كتاباته مسحة من الموضوعية المزيفة، في الوقت الذي يكيل فيه الاتهامات للإسلام، ويصفه بأنه دين معاد للسامية، أو على الأصح «أيدولوجيا معادية للسامية»، «أن المسلمين - كغيرهم من الشعوب التي رزحت لفترة طويلة تحت وطأة الاستعمار - عاجزون عن قول الصدق أو رؤيته أو تقبّله»(٢١). ولا يزال الإسلام متهما عند معظم المستشرقين، وصنّاع السياسة الغربيين، وهذا مظهر جليّ من تحريف الكلم عن مواضعه.

ولم يكن اليهود حريصين على كتم هذا التحريف، بل كانوا يجاهرون به دون ما حرج أو حياء، ولم يستحوا من إيذاء رسول الله بهذا التحريف، يشهد لذلك ما روي عن عائشة أم المؤمنين: أن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السَّام عليكم... الحديث(٢٢).

لقد اتّخذ تحريف الكتاب طابع التجدّد والاستمرار، فكلما وجدوا مصلحة مادية أو معنوية أو سياسية لتحريف الكلام لم يدّخروا جهدا في تحريفه وتبديله، بل لم يجدوا في ذلك أدنى حرج، وهذه المتاجرة والتلاعب بالكلام اقترنت بالاستعلاء على الحقّ وهدي الحقّ. وهي عقلية بلغت من العتوّ والاستكبار حداً يصل إلى أنها لا تستجيب لشيء، حتى ولو لسلطان النبوّة والوحي، وليس لغير السلطان المادي من أثر يمكنه أن يهيمن على تلك النفوس ويحكم أفعالها ويضبط سلوكها.

٢ - هدم المباني بعد هدم المعاني

ما سبق هو واحد من اعتداءاتهم على الكتاب السماوي المقدّس، من

(٢١) أحمد أبو زيد: «الاستشراق والمستشرقون» مجلة المختار من عالم الفكر(١٩٨٤)، وزارة الإعلام، الكويت. ص: ٩٠.

(٢٢) البخاري، متن فتح الباري، كتاب الأدب، ج ١٠، ص ٤٤٩، ح ٦٠٢٤.

حيث تعرضهم إلى معانيه والعبث بها بالتأويل والتبديل والهجوم على دلالاته. وأما الاعتداء الآخر، فهو العبث بمبانيه وليّ ألسنتهم بالكتاب، بهدف تضليل اعتقاد عامّة الناس، وإيهامهم أن ذلك التأويل هو حكم الله وهديه وكلامه. وحقيقة الأمر أنهم يفترون على الله الكذب، هذا صنيع فريق منهم، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (آل عمران: ٧٨). قال البقاعي: «يلوُون ألسنتهم بالكتاب بأن ينقلوا اللسان لتغيير الحرف من مخرج إلى آخر، مثلا: بأن يقولوا في «أعبدوا الله» اللات، وفي «لا تقتلوا النفس إلا بالحق» بالحدّ، وفي «من زنى فارجموه» فارحموه، أو فحمّموه، أو اجلدوه[٢٣].

٣ - السطحية في الفهم والمتاجرة بنصوص الوحي

لعل الحديث النبوي الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيّ خلفه نبيّ، وإنه لا نبيّ بعدي.... الحديث»[٢٤] - دليل على أن خضوع اليهود المؤقت لسلطات النبوّة لم يكن ليتم لولا تلك المطارق القارعة من المعجزات الصارخة. وهو دليل على كثرة فسادهم وكفرهم بالله عزّ وجل.

مما يجعل عملية الربط بين بعثة الأنبياء وفساد اليهود تخضع لتناسب عكسي، ففي حال انقطاع النبوّة يزداد الفساد والإفساد في الأرض: لأن تأثرهم بالنبوّة لم يتغلغل في أعماق نفوسهم، بل توقف عند حدود الظاهر فحسب.

لقد اتسمت العقلية اليهودية بالسطحية والحرفية، وهذه سمة مهيمنة

(٢٣) البقاعي، نظم الدرر: ج ٢، ص: ١١٦.

(٢٤) البخاري، كتاب الأنبياء، ج ٦، ص: ٤٩٥، ح ٣٤٥٥.

عليها في تعاملها مع تراثها الديني، ولم تتمكن تلك العقلية من النفاذ إلى أعماق النصوص الدينية: لإدراك ما فيها من حكم وأهداف ومقاصد. يدل لذلك قول الله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ (البقرة: ٧٨). لقد تحوّلوا بالكتاب عن أهدافه ومقاصده إلى مجرد أمانيّ يمنّون بها أنفسهم، وكأنهم بهذا يجعلونها تصديقاً لهواجسهم النفسية، أو يجعلون هذه الهواجس مفسرة له، فقد تخيلوا أنهم شعب الله المختار، وتوهموا أن الله لا يعذبهم إلا أيّاما معدودة، وافتروا على الله تعالى الكذب والزّور والبهتان... وظنّوا أن الكتاب مصدّق لها ومؤيّد.

قال ابن عاشور: «والأماني: هي التقادير النفسية، أي: الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقاً وليست بحقّ، أو هي: الفعال التي يحسبها العامّة من الدّين، وليست منه. بل ينسون الدين ويحفظونها. وهذا دأب الأمم الضالّة عن شرعها: أن تعتقد ما لها من العوائد والرسوم شرعا. أو هي التقادير التي وضعها الأحبار موضع الوحي الإلهي، إما زيادة عليه حتى أنستهم الأصل، وإما تضليلا»(٢٥).

وهي على كل الأحوال إسقاط للظنّ والوهم البشري على نصوص الكتاب المنزّل، تحقيقاً لما تهدف إليه تلك العقلية. أقول: هذا الفهم السطحي يقود بالضرورة إلى تحريف الكتاب، ويؤدّي – كذلك – إلى تشويه هداية الله إلى الناس.

وعلى صعيد الاتّجار بالكتاب المنزل يبيّن القرآن في السياق نفسه ما يستحقه اليهود من تهديد ووعيد. يقول الله سبحانه». ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾. (البقرة: ٧٩).

---

(٢٥) محمد الطاهر بن عاشور؛ تفسير التحرير والتنوير (١٩٨٣) الدار التونسية، تونس. ج ١، ص: ٥٧٤.

إن اليهود – كما تبيّن الآية – يستثمرون التوراة وتعاليمها للاتّجار بها، ومحاولة التلاعب بعواطف الناس الدينية، مقابل ذلك الثمن القليل. لقد تحوّل الكتاب إلى مورد اقتصادي يدرّ الأرباح الطائلة على فئة المنتفعين من أهل الكتاب. وهذا يعني إسقاط العمل به. وجعل نصوصه أسيرة للمزاج البشري.

وظل هذا الاستغلال قائما، وتجد اليوم تفسيرات للنصوص الدينية حول الزعم الموهوم بـ «حائط سليمان»، و«أرض الميعاد»[٢٦]. ومحاولة إضفاء طابع ديني على هذه التأويلات، لابتزاز أموال العالم. والمشكلة تتمثل في أنهم يقدّمون هذه التفسيرات على أنها نصوص دينية مقدسة، مشتركة بين اليهودية والنصرانية.

إن السعي الرخيص للاتّجار بالكتاب السماوي أدّى إلى تلاشي صفة الخير فيهم، ومن ثمّ يئست البشرية من خيرهم على مدى تاريخها. حقا، إن التاريخ يشهد أنهم لم يقدّموا للبشرية إلا ما يضرّها. قدّموا لها في مجال الاقتصاد «إيدز الاقتصاد»، وهو الربا. وهدموا نظام الأسرة على الصعيد الاجتماعي، وأخذوا يطالبون بإلغاء شيء اسمه «أمٌّ» و«أمومة»، وأطلقوا العنان لشهوات النفس، وضللوا بنظرياتهم التربوية كرامة الفرد، وسحقوا إنسانيته... لقد ارتكبوا جريمة كبرى بحق الكتاب السماوي المقدّس، فكيف يحترمون الإنسان ويحرصون على كرامته؟ بل كيف يسعون إلى تحقيق سعادته؟ ليس في التاريخ ما يثبت ذلك أو يدل عليه.

وكل دولة اليوم معرضة لحملة إعلامية، وابتزاز مالي كبير إذا ما تعرضت للسامية، ووجهت لها الانتقادات، أو أبدت تجاهها أي عداء أو امتعاض[*].

---

(٢٦) يبيّن رجاء جارودي أن «أرض الميعاد» و«الشعب المختار» و«أسطورة يشوع: التطهير العرقي» و«معاداة الصهيونية للفاشية» و«أسطورة قتل الملايين الستة» و«أسطورة أرض بلا شعب».... كلها أساطير يهودية تمكن اليهود من استغلالها سياسيا. انظر: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (١٩٩٦) دار الغد العربي، القاهرة. ص: ٣١ – ١٩٣. وانظر فصل: الاستخدام السياسي للأسطورة، ص: ١٩٧ – ٢٠٥.

(*) وما حدث مؤخرا للمفكر المسلم روجيه غارودي الذي تعرّض لحملة يهودية شعواء، قدّم على أثرها إلى المحاكمة، وغرّم مبلغ عشرين ألف دولار، بسبب فضح بعض افتراءات اليهود في كتابه: الأساطير المؤسسة للدولة اليهودية، وكشف شيء للجمهور من تحريفهم الكلم عن مواضعه لتضليل البشر–مثال حيّ على صدق واستمرار هذا الطبع فيهم.

المبحث الثاني
التحدّي اليهودي للبعثة النبوية

حاول اليهود – لما تبيّن لهم أن النبي الخاتم ﷺ ليس منهم – أن يفرضوا – بما لديهم من علم من بقايا التوراة – هيمنتهم على دين الإسلام في وقت مبكر من بعثة الرسول ﷺ، وقاموا بتنفيذ العديد من الوسائل، مثل: «إيجاد عملية تطبيع مع الدعوة الجديدة، أخذت أحيانا شكل القول: بأنّ محمداً وما يقوله لكم – أيها الناس – هو نفسه ما نقوله نحن، فهو تلميذنا، وتخرج على أيدينا، وتعلّم منا كل شيء: قبلته هي قبلتنا.

إذن، ليس هناك شيء جديد، فالشريعة هي الشريعة، والعقيدة هي العقيدة، الأمور التي انفرد بها محدودة جداً، لا تستحق أن يكون لها دين جديد، وحاولوا أن ينفوا عن النبيّ صفة نبيّ الأمّة ذي الرسالة الخاتمة ذات الخصائص العالمية»(٢٧).

لكن، لما فشلت هذه الوسيلة لجأوا إلى التحدّي والتشكيك في صحة هذا الدين وصلاحيته، وذلك لإحراج النبيّ وجعل نبوّته ودينه في رهان صعب بزعمهم فوجّهوا الأسئلة التي كانوا يبثّونها ويلقنونها الناس؛ لإحراج محمد ﷺ وإبطال دينه، وكانوا يوعزون بها إلى بعض المشركين أو يتوجّهون بها مباشرة إلى رسول الله ﷺ، وكان القرآن قد سجّل هذه الأسئلة، وبيّنت السنّة بعضا منها؛ فقد سألوا الرسول عن الروح، وعن ذي القرنين، وعن موسى وفتاه، وعن أصحاب الكهف، وقالوا: يا محمد، إن كانت رسولا من الله

---

(٢٧) طه جابر العلواني، حوار أجراه معه نور الدين كرشي، صحيفة الراية، ٢٣/٥/١٩٩٥، عدد ١٤٥، ص: ٩. يقول د. العلواني: وفي إطار عملية التطبيع هذه تطرح على المسلمين عمليات إذابة الخصوصيات، وتغيير المفاهيم، وإعادة بناء شبكة شيطانية للإنسانية كلها، منبثقة عن هذه التصورات، وهذه الرؤية للكون والحياة.

كما تقول، فقل لله: فليكلمنا حتى نسمع كلامه...[٢٨].

لكن هذه الأسئلة كانت تأتي أحيانا بنتائج غير ما أريد منها؛ إذ كشفت عن نصوع الحقّ الذي بعث به محمد ﷺ، وأقامت الحجّة على اليهود، وسحبت البساط من تحت أرجلهم شيئاً فشيئاً، وزادت المؤمنين ثقة بدينهم ونبيّهم، يؤيّد ذلك ما روي عن صفوان بن عسّال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل: إنه نبيّ، لو سمعك! فإنّ له أربعة أعين. فأتيا رسول الله، وسألاه عن تسع آيات بيّنات، فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ... فقبّلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبيّ قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا بألاّ يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود[٢٩].

أقول: إن هذه الأسئلة قد جسّدت بصورة حيّة وسجلت بوضوح كامل. الدليل على اتباعهم الهوى وشهوات النفس في فهمهم تراثهم الديني، وبيان مبلغ انحرافه، وانجرافه مع الهوى والمزاج الحاخامي.

لقد مثلت هذه الأسئلة محاولة يهودية يائسة – ولكنها جادة – لإثبات شيء من الجدارة والسيادة لهم على الصعيد الديني. ومحاولة بيان أن مرجعيتهم في الوصاية على عهد السماء ما تزال قائمة. لكن تبيّن أن هذه

---

(٢٨) انظر: سؤالهم عن الروح عند البخاري، كتاب التفسير، ٨/٤٠١، ح ٤٧٢١. وانظر بقية الأسئلة عند: عبدالملك بن هشام؛ السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف (بلا تاريخ)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر. ج ٢، ص: ١٣٧، ١٥٦ – ١٥٧.

(٢٩) حديث حسن صحيح، انظر: محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، تحقيق أحمد شاكر، «بلا تاريخ» دار إحياء التراث العربي، بيروت كتاب التفسير، ج ٥، ص ٣٠٥، ح ٣١٤٤. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح، لا نعرف له علّة بوجه من الوجوه ولم يخرّجاه. ووافقه الذهبي وقال: صحيح لا نعرف له علّة. انظر أبو عبدالله الحاكم؛ المستدرك على الصحيحين (بلا تاريخ)، دار الكتاب العربي، بيروت. كتاب الإيمان، ج ١، ص: ٩.

الورقة الأخيرة التي كانت يلعب بها اليهود سقطت كلية، ولم يعد لها أثر أو أهمية. وبذلك خسر اليهود كل أوراقهم، وكشف القرآن زيفهم الذي انخدع به كثير من الناس، وبدأ يتحدّاهم، ويكشف ألاعيبهم وعبثهم: ففي قصة رجم اليهوديين اللذين زنيا أراد اليهود اختبار النبي ﷺ في نوع العقوبة الواقعة عليهما، فبيّن أنه الرجم، وتحدّى اليهود ببيان أن هذا حكم التوراة أيضاً «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين»[٣٠].

وكان رسول الله ﷺ قد ردّ كل مزاعم اليهود، وقال لهم ناصحا أمينا: يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقّا، وأن جئتكم بحقّ، فأسلِموا... فأبوا، إلا عبدالله بن سلام[٣١].

المبحث الثالث

الموقف النبوي من التراث الديني اليهودي

انبنى الموقف النبويّ في التعامل مع التراث التفسيري اليهودي في ضوء توجيه القرآن الكريم وإخباره بحقيقة ما عليه أهل الكتاب – عامة – من شأن مع كتاب الله المنزّل على موسى وعيسى عليهما السلام.

وقد ظهر – فيما سبق – أن أهل الكتاب – عامة – واليهود – خاصة – غير مأمونين على الكتاب السماوي، وأن الهوى البشري قد تدخّل – عن سوء نيّة وفساد طويّة – في تعديل الكتاب السماوي على وفق ما يشتهي ويرغب. وعليه، فإنّ الموقف إزاء ما يقدّمه اليهود من نصوص أو تفسيرات «للكتاب المقدس» قد اكتمل بعد أن بيّن القرآن الكريم الصورة الحقيقة لتعامل أهل الكتاب مع كتابهم.

غير أن بعض الروايات يشير إلى شيء من التدرج في بناء هذا الموقف،

---

(٣٠) البخاري، كتاب التفسير، ج ٨، ص : ٢٢٤. ح ٤٥٥٦.

(٣١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ج ٧، ص: ٢٤٩ – ٢٥٠، ح ٣٩١١.

ويحتّم أخذ الحيطة والحذر، بل فرض مبدأ الريبة والشك العلمي، ويعدّ ما يقّدمه أهل الكتاب من تفسيرات هو وعدمه سواء، وهذا - فيما يظهر - معنى قوله ﷺ: لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم، وقولوا: آمنّا بالله، وما أنزل إلينا»[٣٢].

والمناسبة التي قيل فيها الحديث توضّحه رواية أخرى تتعلق بشأن غيبي، قد لا يترتب على معرفته كبير فائدة، أو عظيم أثر، فعن أبي نملة - عمارة بن معاذ الأنصاري - قال: بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ - وعنده رجل من اليهود: مُرّ بجنازة، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال: الله أعلم، قال اليهود: بل تتكلم. فقال رسول الله: (ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم، ولا تكذّبوهم)، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدّقوه، وإن كان حقّا لم تكذّبوه[٣٣].

وهذا الأسلوب يشي بتحفظ على أخبارهم، حتى تلك التي تحتمل الصدق.

وهناك مناسبة أخرى[٣٤] لعلّها السبب الذي قال الرسول ﷺ من أجله لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وهي أنهم كانوا يقرؤن التوراة بالعبرانية، ويقرؤنها بالعربية لأهل الإسلام. ولما كان هذا النقل من العبرانية إلى العربية حرفيا ترتّب عليه تشويه لمعاني الكلام المنزّل، وبخاصّة أن اليهود يفهمون ما ورد بشأن الله تعالى على ظاهرة، وترجمة الظاهر هذا

---

(٣٢) البخاري، كتاب التفسير، ج ٨، ص: ١٧٠، ص: ٤٤٨٥.

(٣٣) إسناده صحيح، انظر: أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزّين (١٩٩٥)، دار الحديث، القاهرة. ج ١٣، ص: ٣١٠، ح ١٧١٦٣. وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن (بلا تاريخ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. كتاب العلم، ج ٣، ص: ٣١٨، ح ٣٦٤٤.

(٣٤) إبراهيم بن محمد الشهير بابن حمزة الحسيني؛ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (١٩٨١)، دار الكتب العلمية، بيروت. ج٢، ص: ٢٨٠. والحديث عند البخاري، كتاب الإعتصام، ج ١٣، ص: ٣٣٣، ح ٧٣٦٢.

ليست إلا صورة مشوهة للوحي. ويظهر في الروايتين أن اليهود هم المبادرون إلى الاتصال بالنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، ويبدو أن هدفهم متوجّه إلى غزو العقلية والثقافة الإسلامية قبل اكتمالها ونضوجها، ولذلك اتّخذ النبيّ ﷺ موقفاً متسما بالحيادية الذكية متجها إلى صدّ الاختراق اليهودي للثقافة والعقلية الإسلامية ومحاصرته بكل حزم وقوّة، لا تصدّقوا ولا تكذّبوا. كأن لم تسمعوا منهم شيئاً.

أقول: هذا الموقف القاضي بعدم تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم يبيّن شأن وقيمة المعلومات والتفسيرات الكتابية، إذ لا يترتب على الجهل بها أي خطر على جوانب الحياة الإنسانية: لأنها نفسها غير قادرة على توجيه الحياة بشتى ميادينها.

ثم يتطور بناء الموقف في الاتجاه المعاكس، أعني بتوجيه الخطاب إلى مجتمع المسلمين بعدم ابتداء اليهود بالسؤال أو الاتصال بهم في هذا المجال، وقد تمثّل ذلك في نهيه ﷺ عمر بن الخطاب عن ذلك، بل وإنكاره عليه هذا الفعل، فقد روي عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب، فقال: امتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذّبوا به، أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى - عليه السلام - كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني[٣٥].

وتأيّد هذا - أيضا- فيما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند حسن قوله: «لا تسألوا أهل الكتاب؛ فإنّهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم،

---

(٣٥) انظر: أحمد بن حنبل؛ المسند (بلا تاريخ) دار الفكر، بيروت. ج ٣، ص : ٣٨٧. تراوحت أقوال العلماء في الحكم على إسناده بين الحسن والصحّة. انظر: الساعاتي أحمد عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني لتقريب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (بلا تاريخ)، دار الشهاب، القاهرة، ج ١، ص: ١٧٥ ح ٦٢.

فتكذبوا بحق أو تصدّقوا بباطل»(٣٦).

وكان الصحابة يجسِّدون الهدي النبويّ في الإنكار على كل من يقدم على سؤال أهل الكتاب عن شيء من العلم المتصل بالدين والثقافة مهما كان نوعه ووزنه، يؤيّد هذا ما روي عن حبر الأمّة ابن عباس حين قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب؟ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيّه أحدث الكتب بالله، تقرأونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروا، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عندالله، ليشتروا به ثمنا قليلا؟ أوَلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله، ما رأينا رجلا قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم(٣٧).

---

(٣٦) حديث حسن، انظر: أبو بكر عبدالرزّاق بن همام الصنعاني: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (١٩٨٣) المكتب الإسلامي، بيروت. ج ١٠، ص: ٣١٢، ح ١٩٢١٢. وانظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محبّ الدين الخطيب: ج ١٣، ص: ٣٣٤.

(٣٧) البخاري ، كتاب الشهادات، ج ٥، ص: ٢٩١، ح ٢٦٨٥. وصف أوتولوث - وأيّدخ جولدزيهر - تفسير ابن عباس بأنه ذات مسحة يهودية، وذلك باعتماده على كعب الأحبار وعبدالله بن سلام ليس فقط في الإسرائيليات وأخبار الكتب السابقة، بل كان يسأل كعب الأحبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: «أم الكتاب»، و«المرجان». اجنتس جولزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبدالحليم النجار (١٩٨٣)، دار إقرأ، بيروت، انظر: ص: ٨٦ - ٨٨. وهذه من مبالغات المستشرفين فما أبلغ تحريفهم للكلم! إن ابن عباس - فيما صح عنه - لم يتبنَّ آراء عبدالله بن سلام أو كعب الأحبار، فكعب الأحبار عاش في الشام ومات في سنة ٣٢ هجرية وجمهور وعلماء كبار الصحابة ما زالوا على قيد الحياة، فكيف يستطيع كعب الأحبار أن يحتل هذه المكانة لدى ابن عباس في ذلك الوقت المبكر؟ وعلى افتراض أن ابن عباس كان يسأل كعب الأحبار، فالجواب أن سؤال ابن عباس ليس سؤالا ناتجا عن قصور في العلم أو جهالة، كلا! ولكنه سؤال تقييم وتقويم. هذا فضلا عن أن كعب الأحبار لم يتفيأ مكانة ذات قيمة في علم تفسير القرآن؛ بسبب أن وفاته كانت وكبار مشايخ الصحابة ما زالوا على قيد الحياة. وكان موضع ريبة فيما يخبر عن التوراة، ولذلك قال معاوية: «إن كان - كعب - لمن أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب» البخاري، كتاب الاعتصام، ١٣/٣٣٣، ح ٧٣٦١. إن جولدزيهر بذكائه وسعة اطلاعه حاول إثبات تبعية هذه الأمّة في دينها وكتابها وتراثها لليهود، وهو مظهر لتحريف الكلم عن مواضعه.

وبهذا يتجّه الهدي النبوي إلى إقامة حدّ فاصل بين التراث التفسيري اليهودي وبين الثقافة والعقلية الإسلامية والتفسير القرآني لتصل في النهاية إلى حدّ القطيعة الكاملة مع هذا التراث الذي يفرض القرآن الكريم عليه هيمنته ورقابته وحاكميته المطلقة؛ ليقول فيه الكلمة الأولى والأخيرة، إنقاذا للحقّ، وتحريرا له من شوائب الوثنية والجاهلية.

أقول: لقد ظهر فيما تقدّم معنى التحصّن بالحقّ الذي بعث به هذا النبي ﷺ في وجه هذا التراث الديني التفسيري، كما ظهر معنى الحصار الذي يجب أن يفرض ويقام حول هذا التراث حتى لا يتفاقم خطره أو يستفحل أثره وضرره على العقل الإنساني والثقافة الإنسانية عامّة، هذا التحصن والحصار يحقّق عملية وأد لهذا التراث؛ وبذلك ينتهي وجود أهل الكتاب بوصفهم حفظة الهدي السماوي وحملته؛ ليتجلّى - بعد ذلك - معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥). وهاتان الآيتان قد وردتا في سياق الحديث عن أهل الكتاب، لتقرر في أنفسهم أن لا معنى لما بقي لديكم من أثر النبوّة، ولا وصاية لكم على خبر السماء، بعد أن أعدمتم نصوصه، وبدلتم حقائقه.

لكن، قد يبقى إشكال في فهم معنى قوله ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[٣٨]، وينصبّ الإشكال ويتوجّه إلى مقصود الأمر بالتحديث في قوله ﷺ «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فهل ما ورد في كتب التفسير من إسرائيليات ناتج عن استجابة للهدي النبوي في التحديث عن أهل الكتاب؟ وكيف - إذن - يكون التحديث عنهم؟ هل سيحدّثون عن أهل الكتاب بأكثر مما حدّث عنهم القرآن؟ ومن أين لهم مصدر موثوق يحدّثون به عنهم غير

---

(٣٨) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج ٦، ص: ٤٩٦، ح ٣٤٦١.

القرآن والسنّة الصحيحة، إذا كان المقصود الإخبار بما جرى لهم في تاريخهم مع أنبيائهم؟

هذان احتمالان في فهم الحديث لا يصح أيّ منهما. بمعنى لا يمكن أن يكون المقصود به الرواية عن أهل الكتاب ولو بعد دخولهم الإسلام؛ لأن الكتابي – وإن أسلم– لن يتخلى عن حصيلته أو ثقافته السابقة كليا، وهي حصيلة لا يحتاجها المسلم في شيء من دينه أو دنياه، هذا على الاحتمال الأول. وأما على الاحتمال الثاني، فلا يصح الإخبار عنهم بما لم يرد به قرآن أو سنّة صحيحة، وقد كان النبيّ ﷺ يحدّثهم بما أعلمه الله تعالى من أخبارهم، وقد روي عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله ﷺ يحدّثنا عامّة ليلة عن بني إسرائيل، لا يقوم إلا إلى عظم صلاة»(٣٩).

قد يقال : إن الأمر ليس على سبيل الوجوب، بل على سبيل الإباحة فيما ثبتت صحته عندنا، وهذا كلام صحيح، ولكن هل يحتاج الأمر حينئذ إلى إباحة؟ أقول: إن هذا الحديث منسجم في مقصوده مع الاتجاه العام والموقف الكلي الذي تبيّن من خلال الهدي النبوي، وإن كان ظاهره يقضي بجواز التحديث عن أهل الكتاب، يؤيّد ذلك ما رأه الإمام الشافعي – رحمه الله – من أن الحديث نظير قوله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم» «ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدّث بما يقطع بصدقه»(٤٠)،

ويؤيّد ذلك – أيضا – أن بعض المعاني المذكوره في تأويل الحديث: «قيل: لا حرج في أن لا تحدّثوا عنهم؛ لأن قوله أولا: «حدثّوا» صيغة أمر تقتضي الوجوب، فأشار إلى عدم الوجوب، وأن الأمر فيه للإباحة بقوله: «ولا حرج» أي: في ترك التحديث عنهم(٤١)؛ لأنه لا شأن له ولا قيمة.

---

(٣٩) اسناده صحيح، انظر: المسند: ج ١٥، ص: ٧٧، ح ٧ ١٩٨٠، ٩ ١٩٨٠.

(٤٠) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٦، ص: ٤٩٩.

(٤١) المرجع السابق نفسه، ج ٦، ص ٤٩٨.

ومع ذلك كله، يبقى مجال فهم التحديث عنهم يدور في مجالين مهمّين يخصّان البيئة الإسلامية والعقلية الإسلامية المعنية بفهم السنن الإلهية في حياة البشر، ولما كان بنو إسرائيل أصحاب تاريخ حافل مع الأنبياء مليىء بتطبيقات عملية للسنن الإلهية كان لزاماً على هذه الأمّة أن تطّلع وتعتبر بتلك السنن، مما هو مذكور في كتاب الله تعالى أو سنة نبيّه ﷺ؛ لتكون الأمّة الوسط الهادية لعقل الإنسان ومسيرته في هذه الحياة.

هذا المجال الأول، وتتبين - من خلاله - طبيعة التحديث ونوعية الاخبار عنهم، ويؤيّده ما هو مرويّ في السنّة النبوية، ففي الحديث، قالوا: .... يا رسول الله، أنتحدث عنك، قال: (نعم، تحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال: فقلنا: يا رسول الله، أنتحدّث عن بني إسرائيل؟ قال: (نعم، تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فإنكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه[٤٢].) وأوضح أن هذا لا يراد به الرواية عنهم، بل التحديث عن عجائب ما جرى ووقع لهم في تاريحخهم إذا ثبتت صحته.

إن الحديث خاصّ بهذه الأمّة أن تعتبر وتتعظ، لتعلم كيف بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار، بعد الذي كانوا فيه، وكيف شتّت الله تعالى شملهم، وفرق جمعهم، فعلى «خير أمّة أخرجت للناس» أن تكون على حذر - بوصفها الوارثة الشرعية لتعاليم النبوات - أن تفعل فعلهم في تعاملها مع كتاب ربّها، حتى لا تتبدّل نعمة الله عليهم. ومن ثم ينبغي أن يشترك علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس إضافة إلى علوم الشريعة لبيان سنن الله تعالى في أمّة بني إسرائيل والكشف عنها، لتعلم هذه الأمّة كيف تحقّقت هذه السنن في أرض الواقع حين قطع بنو إسرائيل صلتهم بالله تعالى.

---

(٤٢) حديث حسن، انظر: المسند، ج ١٠، ص: ٤٣، ح ١١٠٣٤.

إن الروايات التي تبيّن إباحة التحديث عنهم متوجّهة إلى هذه الناحية: كيف سقط أهل الكتاب وانحرفوا، وكيف كانت عاقبتهم. أما التحديث عنهم بمعنى معرفة تفاصيل حياة الأنبياء السابقين مما أبهمه القرآن أو أي قصص آخر فهو مما لا يجوّزه دليل، ولا يستند إلى حجّة.

فإن قيل: هل تقطع بكذب كل ما عند أهل الكتاب؟ قلت: لا، ولا أقطع كذلك بصحته، فالأمر موضع ريبة وشك، وما طرأ عليه الاحتمال سقط به الاستدلال، بمعنى أن الوحي المتمثل في الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء لا ينبغي أن يتطرق إليها عشر معشار ذرّة من الريبة والشكّ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر؛ ولذلك قال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: «إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلها الله على موسى بن عمران فاقرأها آناء الليل والنهار»(٤٣). وكيف يمكن أن يثبت ذلك؟

أما المجال الثاني الذي يفسح المجال للتحديث عنهم هو محاكمة ما لديهم إلى العدالة المطلقة للوحي الإسلامي قرآنا وسنّة؛ لتظهر هيمنته الكاملة على الكتاب كله. ومن شأن هذه المحاكمة أن تزيل الحجب المضروبة - بفعل ذلك التراث - بين القرآن الكريم وبين العقل الإنساني، وتفسح له مجال البحث والنظر. ومن ثمّ فهناك أحكام مترتبة في مجالات متعدّدة على هذا النوع من العلاقة ، هذه الأحكام تتضمن رداً لمزاعم ذلك التراث، وتنبيها لخير أمّة أخرجت للناس، لتعي سنن الله تعالى في خلقه. وهذا ما سنعرض له في المبحث الآتي.

---

(٤٣) أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري؛ جامع بيان العلم وفضله (بلا تاريخ)، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص: ٥٣.

المبحث الرابع

تطبيقات عملية للهدي النبوي في التعامل مع المعلومات الكتابية

كان النبي ﷺ حريصا على أن يبقى الموقف واضحاً إزاء كل معلومة كتابية تنقل أو تلقى على مسامع المسلمين بفعل الدعاية والترويج اليهودي لتلك البضاعة، ومع الإقرار بأنه لم يبق وجود ذو قيمة للتراث التفسيري اليهودي إلا أن الرقابة التي يفرضها القرآن الكريم على الكتب السابقة تقتضي بيان الحكم فيما تبقى لأهل الكتاب مما يتصل بهدايات النبوات السابقة إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، وهداية للبشرية وإنقاذا لها من الإنحراف الديني.

إن القرآن هدف إلى إقامة قطيعة معرفية بين تراث أهل الكتاب الديني وبين العقل الإنساني، ليحفظ بذلك العلم والعقل والدين؛ فهذه النصوص الباقية في العهدين لا تورث الإنسان إلا اضطراباً(*).

ولننظر في ما تبيّن في الهدي النبوي من تنفيذ وتطبيق روح الهدي القرآني في التعامل مع التراث التفسيري اليهودي، وما ترتّب عليه من أحكام.

(*) لاحظ أن بعض حركات التطرف الديني الأوروبية (Cult Movement) خرجت من داخل الكنيسة الغربية، معتمدة على نصوص دينية واردة في التوراة والإنجيل. والأحداث التي وقعت في الولايات المتحدّة مؤخرا كالحادثة التي انتحر فيها قرابة الأربعين أمريكيا ناتجة عن هذه الصلة بين هذا التراث وبين العقل البشري. ولذلك فإن قراءة كتب العهدين: التوراة والإنجيل من قبل الناس عموما بتحكيم ميزان العقل وإحساس الفطرة – تبيّن لكل ذي لبّ أن التديّن على طريقة التوراة والإنجيل سيوقع الإنسان في حرج شديد؛ لأن توازن الإنسان سيختلّ بفعل تلك القراءة، ومن ثمّ سينتج عن ذلك فوضى خطيرة؛ لأن الكتاب المقدّس لا يمنح أيّ حصانة للعقل البشري. انظر: شبكة «الأنترنت»: http: www. cult movement. ACTIVITIES OF THE COUNTER CULT MOVEMENT.

فهناك تسعة عشر مرجعاً بيّنت منطلقاتها، وحقيقة مذهبهما، والأسس التي قامت عليها.

١ - ضرورة مخالفة اليهودي والنصارى.

لقد فرض القرآن رقابة وهيمنة على الكتب السابقة تقضي بضرورة مخالفة أهل الكتاب، لأنّ القرآن هو المعيار الحقّ الذي يُعرف به الحق من الباطل، ويتميز به الصدق من الكذب، وهو ما ينبغي للأمّة أن تتميز به: لتكون شاهده على الأمم كلها، كما أخبر الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

لقد أراد الله تعالى: **﴿خير امّة أخرجت للناس﴾** أن تكون متميّزة عن سائر الأمم، وتصرّ على ذلك التمايز، وتثبت في وجه «العولمة» بكل أشكالها وفي مختلف ميادينها: لئلا تذوب شخصيتها، أو يتلاشى وجودها الفاعل في المجتمع البشري، فتفقد بذلك خصائصها ومقوماتها ومن ثم خيريتها بين الأمم. وقد حذّر رسول الله من أن تتبّع الأمّة أهواء أهل الكتاب وسننهم في الحياة، فقال منذرا محذّرا: «لتتبعنَّ سَنن من كان قبلكم: شبر بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه.) قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[٤٤]، وهذا يقضي بضرورة مخالفتهم فيما يتعارض وهدي الوحي قرآنا وسنّة، وفيما يؤدي إلى التشبّه بهم. ومما يدخل في إطار هذا: التحذير من كل ما يمت إلى المعرفة الدينية المنسوبة إلى الوحي. وكل ما يمتّ إلى المعرفة الإنسانية والاجتماعية من علوم: السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع... مما يتنافى وهدي الوحي. وكل ما يمتّ إلى السلوك وإلى الثقافة وإلى القوانين، مما انبنى على أساس جحد وحدانية الله تعالى، وإنكار اليوم الآخر.

إن هذه الأمّة تتميّز - كذلك - في وصايتها على هدي النبوات السابقة من لدن آدم مروراً بأبي الأنبياء إبراهيم إلى عيسى عليهم وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، فدينهم التوحيد الخالص لله تعالى. وهذه الأمّة معنية ومسؤولة ومؤهلة لأن تكون أمينة ووصية على الحقّ الذي بعثوا به. وقد كذّب القرآن

---

(٤٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج ٦، ص: ٤٩٥، ح ٣٤٥٦.

الكريم كل زعم لليهود والنصارى بأن ما هم عليه من دين منسوب إلى إبراهيم عليه السلام، كذّبهم القرآن وبيّن أن أولى الناس الذين يحقّ لهم الانتساب إليه هم الذين اتّبعوه، وهذا النبيّ والذين آمنوا، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (آل عمران: ٦٨). هذه النسبة الحقيقية والصلة القويّة بين إبراهيم وهذه الأمّة تهيّىء لها أهلية الوصاية الكاملة على ما جاء به من حقّ ودين وشريعة.

وقد بيّن ﷺ – كذلك –أنه أولى بموسى عليه السلام من اليهود، فقد قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح، نجّى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوّهم، فصامه، فقال: «أنا أحقّ بموسى منكم» فصامه عليه الصلاة والسلام، وأمر بصيامه(٤٥). وفيه إثبات وصاية الإسلام على شرائع من قبلنا، وصاية تقتضي بذل النصح والعناية لرسالات الأنبياء، وللأنبياء أنفسهم بإظهار الحقّ الذي جاؤا به، وذبّ الافتراء والشبهات عنهم، وبيان أنهم معصومون من الآثام والمعاصي ما ظهر منها وما بطن.

وتشير بعض الروايات إلى حِرص الرسول ﷺ على مخالفة اليهود في كل شيء، لبيان استقلالية هذه الأمّة وتميزها بالحقّ الذي معها عن غيرها، ففي رواية مسلم: قالوا: يا رسول الله، إنه (يوم عاشوراء، يوم تعظّمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله: «فإذا كان العام المقبل – إن شاء الله – صمنا اليوم التاسع... الحديث(٤٦)، وفي رواية: (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»(٤٧)).

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله

---

(٤٥) البخاري، كتاب الصوم، ج ٤، ص: ٤٤٢، ح ٤٠٠٢.
(٤٦) البخاري، كتاب الصوم، ج ٢، ص: ٧٩٧–٧٩٨، ح١٣٣.
(٤٧) البخاري، كتاب الصوم، ج ٢، ص: ٧٩٨، ح ١٣٤.

عنه، قال: «كان يوم عاشوراء يوما تعظّمه اليهود وتتخذه عيدا، فقال ﷺ: «صوموه أنتم»[٤٨].

وفي هذا مخالفة كبيرة، وتميّز واضح عن اليهود، فالصّوم في العيد محظور وغير مقبول، لكن لأن اليهود تتخذه عيداً أمر رسول الله ﷺ بصيامه، وهذا يجسّد المخالفة في أوضح صورها، وأكمل معانيها.

وفي شأن آخر في الصيام أيضاً أكد الرسول ﷺ ضرورة مخالفة اليهود، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الدّين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخّرون»[٤٩]. وهو مظهر من مظاهر الاعتدال والوسطية، ونقيض ذلك التنطع أو الرهبانية.

وحين أراد الرسول ﷺ أن يدعو إلى الصلاة: «ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة»[٥٠] والأذان من أهم شعائر الإسلام المميّزة له عن سائر الأمم، وقد خالف ﷺ فيه اليهود والنصارى والمجوس والأمم كلها.

حتى في الأمور المظهرية للمسلم كان الاتّجاه العام يقضي بضرورة مخالفة اليهود، كوصل الشعر مثلا، الذي لم يكن يفعله غير اليهود، وكان النبي ﷺ يسميّه الزّور[٥١].

وأمر بالخضاب فقال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[٥٢].

وأمرهم بالتسرول والائتزار، والتخفّف والانتعال، وقصّ الشوارب

---

(٤٨) مسلم بن الحجاج بن مسلم النسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بلا تاريخ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. انظر: كتاب الصيام، ج ٢، ص ٧٩٦، ح ١٢٩.

(٤٩) حديث حسن، انظر: الألباني، صحيح سنن أبي داوُد ج ٢، ص: ٤٤٨، ح ٢٣٥٣.

(٥٠) البخاري، أحاديث الأنبياء، ج ٦، ص: ٤٩٥، ح ٣٤٥٧.

(٥١) البخاري، كتاب اللباس، ج ١٠، ص: ٣٧٤، ح ٥٩٣٨. وانظر حديث رقم ٥٩٣٢.

(٥٢) مسلم، كتاب اللباس والزينة، ج ٣، ص: ١٦٦٣. ح ٨٠.

وتوفير اللحى مخالفة لليهود والنصارى كذلك[٥٣].

وبذلك يتقرر أن القطيعة الكاملة مع الروايات والثقافة والعادات اليهودية كان طابعا مميزا للعهد النبوي في التعامل مع التراث التفسيري اليهودي.

أقول: إن التمايز والاستقلالية لم يقتصرا على الشعائر الدينية، بل شملا أيضاً غير ذلك من عادات في الهيئة والمظهر، بمعنى أن القطيعة لم تقتصر على مجرد المعرفة والعلوم الدينية والتصورات، بل شملت كذلك أموراً مظهرية مثل تغيير لون شعر الرأس أو اللحية. وهذه القطيعة لا تأخذ شكل مقاطعة الأنداد، ولكنها تهدف في نهايتها إلى تحقيق التحرير الكامل للإنسان والإنسانية من عبودية تلك النصوص الكتابية المزعوم اتصالها بوحي السماء، وتحمل في طياتها ما يقتضي حاكمية الوحي الإسلامي وهيمنته على ما سبق من وحي وتصديقه، هذا على افتراض وجود ذلك الوحي وصحته، فكيف لو كان الأمر خلاف ذلك! وهي مقاطعة تفرض الوصاية على تلك النصوص على علاّتها.

هذا وغيره يؤكد عمل النبي ﷺ في إثبات أن الإسلام غير اليهودية، وأن القرآن غير التوراة، ليؤكد التمايز دوما. ومنعه ﷺ من الاطّلاع على ما عند أهل الكتاب في إنكاره على عمر الفاروق خشية أن يكون هناك تأثير، لأن قراءة ما عند أهل الكتاب بصفته من الوحي غير جائز؛ لأنها فقدت هذه الصفة، أما قراءتها للعالم المتمرِّس بصفة أخرى فليس هناك من مانع؛ لأن منهج البحث العلمي الإسلامي يقضي بعدم وجود دوائر بحثية مغلقة في نطاق عالم الشهادة.

٢ – مواجهة انحرافات وتفسيرات اليهود العقدية:

تأويلات اليهود وعبثهم بالكتاب المقدّس– كما أسلفنا – من أشدّ مظاهر الانحراف الفكري خطورة؛ لما له من أثر في تضليل اعتقاد الناس عن طريق

(٥٣) إسناده صحيح، انظر: مسند الإمام أحمد، ج ١٦، ص: ٢٥٧ – ٢٥٨. ح ٢٢١٨٤.

تشويه مفهوم التصور الحق لـ «الله الخالق المعبود»، و«الإنسان»، و«الكون»، و«المصير المحتوم».

ومن القضايا التي واجهت بها السنّة تفسيرات اليهود لهذا المفهوم: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، قال: جاء حبر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يضع السماء على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع والأنهار على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «وما قدروا الله حقّ قدره»(٥٤). وقد جعل الإمام مسلم هذا الحديث في كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم»(٥٥). وهو أمر له دلالته.

وضحك النبي ﷺ إنما هو تعجب من جهل اليهودي وإنكار عليه كما ذكر الخطابي(٥٦). وقد نقل الإمام النووي عن بعض المتكلمين قوله: ليس ضحكه وتعجبه وتلاوته للآية تصديقاً للحبر، بل هو ردّ لقوله وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده، فإنّ مذهب اليهود التجسيم، ففهم منه ذلك، وقوله - في بعض الروايات -: «تصديقا له» إنما هو من كلام الراوي(٥٧). وهذا - في تقديري - أرجح الأقوال، وإن فهم بعضهم أن ضحكه ﷺ إقرار للحبر على ذلك.

ومن مظاهر التشويه الأخرى حول تصوّر «الله الخالق» وما يليق بجلاله من صفات: ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ

---

(٥٤) البخار، كتاب التوحيد، ج ١٣، ص ٤٣٨، ح ٨٤٥١.
(٥٥) مسلم، الجامع الصحيح، ج ٤، ص : ٢١٤٧، ح ١٩.
(٥٦) وقد عدّ بعض العلماء هذا التأويل من قبيل التكلف على الرغم من وجاهته - انظر: ابن حجر، فتح الباري: ج ٨، ص: ٥٥١.
(٥٧) محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم(١٩٧٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج ١٧، ص: ١٣٠ - ١٣١.

أحدكم خبزته في السّفر، نزلا لأهل الجنّة.) فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنّة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة – كما قال النبي – فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه. ثم قال: (ألا أخبرك بإدامهم؟) قال: بلى، قال: (إدامهم بالام ونون،) قالوا: وما هذا؟ قال: (ثور وحوت، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا[٥٨]).

وقد حمل بعض العلماء – كابن حجر – المعنى على الحقيقة، ورأى البيضاوي أن هذا الحديث مشكل جدا، لا من جهة إنكار صنع الله وقدرته على ما يشاء، بل لعدم التوقيف على قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه، إلى طبع المطعوم والمأكول مع ما ثبت في الآثار أن هذه الأرض تصير يوم القيامة نارا، وتنضم إلى جهنم[٥٩]. ويبدو أنه من الصعب أن يفسّر ضحك النبي ﷺ على أنه تصديق لكلام الحبر، أو إقرار له عليه؛ لأنه ﷺ نهى عن تصديقهم أو تكذيبهم. ولأنه يخالف مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر: ٦٧) وقوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ (الفجر: ٢١) وغيرها. ولعلّ سبب ضحكة ﷺ أن المعنى الذي قصده من الحديث محمول على المجاز، فيكون المعنى: «أنه شبّه أرض الحشر بالخبزة في الاستواء والبياض، وشبّه أرض الجنة في كونها نزلا لأهلها، ومهيأة لهم، تكرمة بعجالة الراكب زاده يقنع به في سفره»[٦٠]. في حين أن اليهودي حمل المعنى على منطقه ومذهبه في التجسيم والتشبيه، وأن هناك ثورا حقيقياً وحوتاً حقيقياً. وليس ذلك على الله بعزيز قطعا.

---

(٥٨) البخاري، كتاب الرفاق، ج ١١، ص: ٣٧٢. ح ٦٥٢٠.

(٥٩) ابن حجر، فتح الباري، انظر: ١١، ص: ٣٧٣.

(٦٠) المرجع السابق نفسه.

ولكن، لما كان هناك نصوص أخرى قرآنية تبيّن ما سيؤول إليه حال الأرض من تغيير ودكّ وتبديل، ولأن في الحديث نفسه قوله ﷺ: «يتكفؤها الجبار بيده»، أقول: لما كان ذلك كذلك لزم التأويل وحمل المعنى على المجاز. وهذا التجسيم في الفهم أدّى إلى رفض قبول التأويلات والتفسيرات اليهودية الدينية.

وتتوجّه السنّة النبويّة – في ضوء توجيه القرآن – إلى تفنيد مزاعم اليهود في القضايا ذات الصلة بالعقيدة، فهم يزعمون – مثلا – أن النار لن تمسهم إلا أيّاما معدودة، وأن غير اليهود هم المخلّدون في جهنم، يرشد إلى ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله شاة فيها سمّ فقال رسول الله: اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود. فجمعوا له، فقال رسول الله: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال ﷺ: من أبوكم قالوا: فلان قال: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت. فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. وإن كذبناك عرفت كما عرفته في أبينا. قال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها. قال رسول الله: اخسأوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا. قال: هل أنتم صادقيّ في شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سمّا؟ قالوا: نعم. قال: فما حملكم على هذا؟ قالوا: أردنا أن نعرف إن كنت كاذبا نستريح منك، وإن كنت صادقاً لم يضرّك[٦١]. وهذا يصوّر مدى الأمانة التي اتصف بها اليهود في الإخبار عن هداية الوحي إذ لم يصدقوا في الإجابة عن سؤال واحد منها مع علمهم بالحقّ الذي بعث به محمد ﷺ، وهم على غيره أحرى بأن يكذبوا ولا يصدقوا أبدا، ولذلك توعدهم الحق سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة: ١٥٩).

(٦١) البخاري، كتاب الطب، ج ١٠، ص ٢٤٤ – ٢٤٥. ح ٥٧٧٧.

ويظهر من هذا الحديث مدى هيمنة الوحي الإسلامي قرآنا وسنّة على التراث التفسيري اليهودي(*) من حيث بيان وجه الحقّ، وكشف افتراء اليهود وكذبهم على الله تعالى.

٢ - التحذير من تبديلهم شرع الله تعالى وترك العمل معه

حذّر النبي ﷺ من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من ركوب متن الشطط والعناد في التعامل مع وحي الله تعالى. فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قيل لبني إسرائيل: «ادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم» فبدّلوا، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبّة في شعره(٦٢). وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة: ٥٩). وهو - كما أسلفنا - تحيّز ضد الوحي وهداياته، وما دامت هذه النفسية تحمل شعور الكراهية تجاه الوحي فلن تتمكن من الاستفادة من هداياته، أو العمل بما جاء به. ولن تحصل الاستفادة إلاّ أن تتغير تلك النفسية، وهذه سنّة إلهية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). وكما أسلفنا، فإنّ المشكل في هذه التفسيرات والأفهام اليهودية هو وجود موقف مسبق لديها من الوحي، وهذا من شأنه أن ينتج حالة قطيعة حقيقة مع الوحي تتغلغل آثارها إلى أعماق النفس والعقلية اليهودية.

(*) من المعلوم أن عدوى الافتراء على الله وأنبيائه انتقلت من اليهود إلى العرب الجاهليين الذين تأثروا هم كذلك باليهود في هذا، فقد زعموا أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عمّا يصفون، وردُ الرسول ﷺ على أقاويل المشركين وزعمهم الباطل وتحريفهم الحقّ، فحين قدم رسول الله ﷺ أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله: (قاتلهم الله، أما والله، لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط) فدخل البيت فكبّر في نواحيه، ولم يصلّ فيه. البخاري، كتاب الحج، ج ٣، ص: ٤٦٨. ح ١٦٠١.

(٦٢) البخاري، كتاب التفسير، ج ٨، ص: ١٦٤، ح ٤٤٧٩، ح ٤٦٤١.

وقد جاء القرآن صريحاً ببيان أن اليهود نكصوا عن الوفاء بما أوجب الله عليهم في التوراة من الهدى والنور. وشبّههم في فعلهم هذا بالحمار يحمل أسفارا، لا يناله منها إلاّ التعب والنصب والإعياء، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥﴾ (الجمعة: ٥).

وقد أكّد النبي ﷺ هذا المعنى، وحذّر «خير أمّة أخرجت للناس» من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من حيث تركهم العمل والانتفاع بكتاب الله تعالى، فقد روي عن زياد بن لبيد قال: ذكر النبيّ شيئاً، فقال: (ذاك عند أوان ذهاب العلم) قلت: يا رسول الله ! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: (ثكلتك أمّك، زياد! إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة . أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل، لا يعملون بشيء مما فيهما؟[٦٣].

وقد سلك اليهود سبل التحايل على شرع الله بهدف تمييع أحكامه وحدوده، وتضييع حقائقه وأحكامه، لتنقطع بذلك فاعليته وأثره في نفس الإنسان وواقعه، وينعدم المعيار الأمثل في تصحيح حركته وحركة مجتمعه وتصويبها، يدل لهذا حديث عن جابر بن عبدالله يصوّر طبيعة العقلية اليهودية في التعامل مع نصوص الوحي، فقد قال: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة؟ فإنّها تطلى بها السفن، وتدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: (لا، هو حرام.) ثم قال: (قاتل الله اليهود، إن الله لمّا حرّم عليهم شحومها أجملوه – أذابوه – ثم باعوه، فأكلوا ثمنه[٦٤]).

---

(٦٣) حديث صحيح، انظر: محمد ناصر الدين الألباني؛ صحيح سنن ابن ماجه (١٩٨٨)، مكتب التربية العربي، الرياض. كتاب الفتن، ج ٢، ص: ٣٧٧، ح ٣٢٧٢.

(٦٤) البخاري، كتاب التفسير، ج ٨، ص: ح ٤٦٣٣.

٤ – تصحيح أغاليطهم في بعض شؤون المرأة

وقف النبي ﷺ بالمرصاد للتفسيرات اليهودية التي تحاول تشويه صورة الإنسان أو تعتدي على كرامته، أو تحاسبه على ذنب لم يكتسبه، وفعل لم يقترفه والمرأة إلى اليوم لم تحظ وفق المنظور الديني اليهودي، ولم تنل كرامتها، وهي قضية من أهم القضايا التي أخفق اليهود في حلّها، فلم تحظ المرأة ولم تتفيأ مكانتها اللائقة بها في الديانة اليهودية حسب النصوص الدينية عندهم، فحمّلوها مسؤولية الخطيئة الكبرى بإغوائها آدم، والتسبّب بإخراجه من الجنّة، وملأت هذه المعلومة اليهودية أو الكتابية عقول البشر، وتسللت إلى شيء من تراثنا التفسيري.

وفي قضية أخرى ذات صلة بها، نجد المرأة – وفق منظورهم الديني – قد أهينت واحتقرت حتى في أخصّ خصائصها. يوضّح ذلك ما رواه مسلم وغيره عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة فيهم: لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي النبيّ ﷺ، فأنزل الله عزّ وجل: «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فائتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين» فقال رسول الله: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح)، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه... الحديث»[٦٥].

ومن الواضح أن معاملة المرأة في هذه الفترة الصعبة التي تمرّ بها، ويختلف فيها مزاجها – وهي بأمس الحاجة إلى الرعاية واللطف – بفرض نوع من العزلة المادية والمعنوية عليها بزعم أنه شرع الله ودينه – افتراء على الله – سبحانه وتعالى، وفعلهم هذا يعبر عن امتهان واحتقار للمرأة في أمر خارج عن إرادتها واختيارها، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بمخالفة اليهود في هذا الأمر، ومخالطة المرأة على كل حال إلا الجماع، وإخراجها من شبح العزلة التي فرضها اليهود عليها.

---

(٦٥) مسلم، كتاب الحيض، ج ١، ص: ٢٤٦، ح ١٦.

٥ – رفض التمييز العنصري

من الواضح أن اليهود قد بلغت بهم العنصرية ضد شعوب الأرض كلها مبلغا عظيما حتى قالوا: «نحن أبناء الله وأحباؤه». وهذا – من ناحية أخرى – يقرر أن اليهود سيبقون لا قابلية عندهم للتلاشي في مجتمعات أخرى بهذا الزعم، وسلبية هذه العزلة تكمن في أنهم غير قادرين أبدا على القيام بدور حضاري لمصلحة البشرية، ولخير الإنسانية؛ لأنهم ينظرون إلى من سواهم نظرة ازدراء واحتقار، هذا سبب كفيل بأن لا يشعروا تجاه الآخرين بنوع من الرحمة. ولا شك في أن استعلاء صنف من الناس على صنف بتزييف نصوص الوحي افتراء على الله تعالى. والوحي الصحيح الصادق يرفض مثل هذا الاستعلاء والطبقية بين أفراد النوع الإنساني، فالناس لآدم، وآدم من تراب. هذا ما قرره الإسلام، وهذا الأصل الذي يلتقي عليه كل البشر.

إن العنصرية متغلغلة ومتجذّرة في النفسية اليهودية، حتى أنهم يتعاملون مع بعضهم على هذا الأساس، يدل لذلك ما روي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فودي بمائة وسق من تمر، فلما بعث النبي قتل رجل من النضير رجلا من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا بيننا وبينكم النبي، فنزلت: «وإن حكمت فأحكم بينهم بالقسط» والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: أفحكم الجاهلية يبغون[٦٦]. هذه العنصرية لم تنفك عن النفسية اليهودية إلى اليوم، وواقع اليهود الشرقيين أو العرب يشهد أنهم في الطبقة الدنيا على خلاف واقع اليهود الغربيين.

٦ – تعلم لغتهم لأمن شرّهم، ولدعوتهم إلى الحق.

لما كان اليهود موضعا للريبة والشك كان ينبغي أن يتخذ التعامل معهم مبدأ الحيطة والحذر، فإن الرسول ﷺ لم يكن يأمنهم حتى على رسائله إليهم خشية أن يتقوّلوا فيها، أو يحرّفوا معانيها، فقد أمر ﷺ زيد بن ثابت أن

---

(٦٦) حديث صحيح، انظر الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الدّيات، ج ٣، ص: ٨٥١، ح ٣٧٧٢.

يتعلم كتاب اليهود حتى يكتب للنبيّ ﷺ كتبه ويقرأ كتبهم إذا كتبوا إليه»[٦٧]، وفي رواية: بالسريانية، وقال: «إني والله، ما آمن اليهود على كتابي، فما مرّ لي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت اكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم». أي: رسائلهم إليه[٦٨].

أقول: لقد كان النبيّ يكتب لهم بلسانهم - وهذا أقرب إلى إدراكهم وعقولهم - ليبيّن لهم الحق الذي أنزله ويدعوهم إليه، هذا التصرّف النبوي الحكيم يعدّ قاعدة مهمّة في التعامل مع الآخر بضرورة دراسة لغته لمعرفة كيفية التعامل معه، واللغة ليست مجرد وسيلة تخاطب. ولكنها وعاء فكري يمكّن من دراسة أية أمّة من خلال لغتها لبناء منهج التعامل معها[*].

الخاتمة:

لقد تبيّن أن حظّ اليهود من الكتاب السماوي ما هو إلا تراث انجلى عن تفسير حاخامي أخذ صفة النصّ المنزّل نفسه، بل أقوى منه، فضلا عن أن هذا النصّ موضع شبهة وريبة من حيث كونه وحيا إليها؛ بسبب الاعتداءات الصارخة على ألفاظ النصوص ومبانيها، وصفة التحريف الراسخة فيهم جعلت النصّ المنزّل في مهبّ الريح من حيث افتقاره إلى جذور في الدلالة راسخة. هذا الوضع جعل التحرر من قيود التكليف سهلة ميسّرة إذ تبدّلت به الأحكام، واختلط الحلال بالحرام. ولم يقتصر التحريف على الكتب السابقة، بل توجّه إلى القرآن الكريم، وتعبّر الدراسات الإستشراقية عن صورة حيّة، ومحاولة فاشلة يائسة لتحريف الكلم عن مواضعه. أضف إلى ذلك أن الفهم السطحي، وتحويل الكتاب إلى مجرد أمانيّ جعل الكتاب المنزّل تابعا لهم

---

(٦٧) البخاري، كتاب الأحكام، ح ٧١٩٥، ١٣/١٨٥.

(٦٨) حديث حسن صحيح، انظر: سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، ج ٥، ح ٢٧١٥.

(*) تقوم معاهد الاستشراق العبرية بإنشاء أكبر وأضخم موسوعة للشعر العربي. ومن وراء هذا أهداف وغايات!!

يسير وراءهم، ليحقّق لم ما يريدون من تلفيق وتزوير وابتزاز فاحش لأموال الناس وثرواتهم.

ومع يقينهم بنبوّة محمد ﷺ التي بشّرت بها كتابهم، إلاّ أن موقفهم عبّر عن تحريف صريح للحقّ من بعد مواضعه، فكانت هناك محاولة لاحتواء البعثة النبويّة والالتفاف عليها. وحين عجزوا عن ذلك، سعوا إلى تحدّي هذه البعثة وإحراجها بطرح العديد من الأسئلة التي مثلت في النهاية محاولات فاشلة يائسة لإثبات شيء من الجدارة لهم على الصعيد الديني، بعدما جاءت هذه الأسئلة بنتائج عكسية.

لذلك كله، بنى الوحي الإسلامي قرآنا وسنّة الموقف الأمثل مما تبقّى لديهم من تراث ديني. وقد انجلى هذا الموقف عن قطيعة معرفية كاملة شاملة معه؛ لأنّ الكتاب المنزّل على موسى وعيسى عليهما السلام، الذي أصبح يعرف بـ «الكتاب المقدّس» بعهديه القديم والجديد لم يعد يمثل وحي الله تعالى. ولم يعد يمثل دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها، مع أنه في أصله كان صحيحاً قويماً فيه هدى ونور، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام.

ثمّ تبيّن أن الأحاديث النبوية هدفت إلى تحصين المسلم ضد القرصنة العلمية اليهودية الهادفة إلى غزو العقلية الإسلامية، وقطع الصلة مع ذلك التراث، وكان الاتجاه العالم في السنّة النبوية يقضي بضرورة مخالفة أهل الكتاب: لتتميّز هذه الأمّة بدينها الحقّ الذي يؤهلها لقيادة زمام الحياة البشرية.

حتى الأحاديث الواردة بالتحديث عن أهل الكتاب تنتظم في إطار النسق القرآني لا تتجاوزه ولا تخالفه. وقد قيلت هذه الأحاديث في مناسبات مخصوصة، ولا يصح أن يبنى عليها موقف عام يقضي بجواز التساهل في النقل عن أهل الكتاب من إسرائيليات وغيرها. ويظهر أن التحديث عنهم لا يكون إلا من قرآن أو سنّة نبويّة صحيحة، هذا التحديث واقع في مجالين: مجال الاعتبار بالسنن الإلهية والعمل بموجبها، ومجال بيان حاكمية الوحي

الإسلامي وهيمنته على الكتاب كله، إنقاذا للعقل والعلم والمعرفة والدين.

وظهر في التطبيقات النبوية في التعامل مع التراث الديني اليهودي مدى الانسجام مع الروح العامة للموقف الذي هدف القرآن إلى تحقيقه، ومدى استثمار هذا الموقف في إنفاذ حكم القرآن وبيان هيمنته ورقابته ومسؤوليته عن كل ما ينسب إلى الوحي أو ينتسب إليه؛ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

دليل المصادر والمراجع

١ - الإسكافي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي؛ درّة التنزيل وغرّة التأويل(١٩٧٩)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢ - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني؛ مفردات القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني (بلا تاريخ)، دار المعرفة، بيروت.

٣ - الألباني، محمد ناصر الدين؛ صحيح سننن أبي داود(١٩٨٩)، مكتب التربية العربي، الرياض.

٤ - الألباني، محمد ناصر الدين؛ صحيح سنن ابن ماجه(١٩٨٨)، مكتب التربية العربي، الرياض.

٥ - أنس الشيخ علي؛ الإسلام والغرب: إشكالية التحيّز في الروايات الشعبية البريطانية والأمريكية ١٩٠٧ - ١٩٩٧، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد العاشر، ١٩٩٧.

٦ - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، انظر: متن فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب (بلا تاريخ) نشر دار الإفتاء السعودية، الرياض.

٧ - البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(١٩٩٥)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ - الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، تحقيق أحمد شاكر،(بلا تاريخ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩ - جارودي، رجاء، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، قسم الترجمة (١٩٩٦)، دار الغد العربي، القاهرة.

١٠ - جارودي رجاء، الإسلام دين المستقبل، ترجمة عبدالمجيد بارودي (١٩٨٣) دار الإيمان، بيروت.

١١ – جولدزيهر، اجنتس، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبدالحليم النجار (١٩٨٣)، دار إقرأ، بيروت.

١٢ – الحاكم، أبو عبدالله: المستدرك على الصحيحين(بلا تاريخ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣ – ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محبّ الدين الخطيب(بلا تاريخ)، نشر دار الإفتاء السعودية، الرياض.

١٤ – ابن حمزة الحسيني، إبراهيم بن محمد؛ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (١٩٨١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥ – ابن حنبل، أحمد بن محمد؛ المسند، تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين (١٩٩٥)، دار الحديث، القاهرة.

المسند (بلا تاريخ)، دار الفكر، بيروت.

١٦ – أبو داود، سليمان بن الأشعت السجستاني، السنن(بلا تاريخ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧ – الذهبي، محمد حسين؛ الإسرائيليات في التفسير والحديث (١٩٨٥)، دار الإيمان، دمشق.

١٨ – ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم بن بن الزبير الغرناطي؛ ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح (١٩٨٣)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

١٩ – زقزوق، محمود؛ في مواجهة الإستشراِق، مجلة المسلم المعاصرة، مصر ، العدد ٦٥ – ٦٦، السنة ٩٢ – ١٩٩٣.

٢٠ – أبو زيد، أحمد؛ الاستشراق والمستشرقون «مجلة المختار من عالم الفكر (١٩٨٤)، وزارة الإعلام، الكويت».

٢١ – الساعاتي، أحمد عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني لتقريب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (بلا تاريخ)، دار الشهاب، القاهرة.

٢٢ – ابن عاشور، محمد الطاهر؛ التحرير والتنوير في التفسير (١٩٨٣)، الدار التونسية، تونس.

٢٣ – ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف؛ جامع بيان العلم وفضله(بلا تاريخ)، دار الفكر، بيروت.

٢٤ – عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزّاق بن همام الصنعاني: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (١٩٨٣) المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٥ – العلواني، طه جابر(مقابلة أجرتها صحيفة الراية) ٢٣ ذو الحجة، ١٤١٥هـ ٢٣/٥/١٩٩٥. العدد ١٤٥.

٢٦ – القرطبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله؛ الجامع لأحكام القرآن (١٩٧٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧ – محمد توفيق حسين؛ الإسلام في الدراسات العربية، مجلة المختار من عالم الفكر(١٩٨٤). وزارة الإعلام، الكويت.

٢٨ – محمد عصفور؛ صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي حتى القرن الثامن عشر، مجلة المختار من عالم الفكر (١٩٨٤) وزارة الإعلام، الكويت.

٢٩ – مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بلا تايخ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠ – المسيري، عبدالوهاب؛ اليهودية وما بعد الحداثة: رؤية معرفية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد العاشر، ١٩٩٧.

٣١ – النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم (١٩٧٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٢ – ابن هشام، أبو محمد عبدالملك؛ السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف (بلا تاريخ)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٣٣ – http:// www. cult movement. ACTIVITIES OF THE COUNTER-CULT MOVEMENT-.

The Stand of Revelation Towards Jewish Religious Heritage

Dr. Ziad Khaleel Muhammad Al-Daghameen.
The Faculty of legal and Juristic studies. Al-Albayt University. Jordan.

The Jewish religious heritage is composed of the efforts and unproved statements of the Jewish rabbis to interpret Allah's revelation to Prophet Moses (pbuh). Jews tried to use this heritage for securing distinguished status over other nations. Studying the stand of the Islamic revelation would lead to many results, the most important among them are putting an end to the deviation in the course of human life which is still depending on the previous scriptures, and clarifying the fault that lead to the spread of the statements of that heritage in the books of Muslims.

This paper is composed of an introduction, four chapters and an epilogue.

The first chapter dealt with the Jews' way of treating their Heavenly Book and clarified that they did not decide about the Torah and its ascription to Allah. It was found that they have distorted the Torah in wording and in meaning, in addition to shallow understanding and commercializing it, which is enough to make it loose its holiness and effect.

The second chapter is about their challenges to the Prophethood of Muhammad (pbuh) through raising disabling questions and trying other tests so as to embarrass the Message of Islam.

The third chapter dealt with the stand of the Prophet's (pbuh) towards the Jewish religious heritage to clarify that both the Prophetic and the Quranic guidance clearly separate between that heritage and the Islamic mentality and culture. It also clarified that the Tradition (Hadith),: «حدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج».,"Don not hesitate relate to the Children of Israel." , is contradicting the general course of the Quran and Sunnah.

The fourth chapter cited various examples of how the Prophet dealt practically with the Biblical information:

- taking stands independent and different from those of the Jews and Christians,
- facing their deviations and interpretations concerning the faith,
- warning about their distortions and negligence of the of Allah's Law,
- correcting their errors about women,
- refusing racial discrimination they had,
- commanding some Muslims to learn Hebrew as a precaution against Jews' evil and as a medium of calling them to accept the Truth.

The most important conclusions of this study were:

- Both the Quran and the Sunnah had laid a full rupture with the Jewish religious heritage,
- Distortion and changing scriptures were their habit which they had practiced with the Torah and the Gospel,
- They have turned after that to Islam to distort its traits and deform its image, particularly in the Western countries.